المقدمـــة

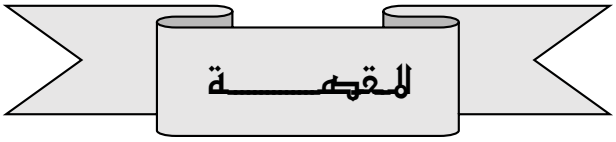

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، ورضي الله عن آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعن وراث النبوة العاملين، من فحول الفقهاء والأصوليين، والأئمة المدققين، ومن أقامهم الله لتثبيت هذا الدين، ونصرة الحق المبين، وأعدهم وأمدهم بما تحار به عقول المفكرين، وارض عنا معهم بفضلك وكرمك وإحسانك يا رب العالمين.

وبعد: فإن علم أصول الفقه من العلوم الجليلة، الذي كان له الحظ الأوفر في ضبط أحكام الشريعة، وحفظها من عبث العابثين، وتأويل الجاهلين، وجرأة المتجرئين على الفتيا، والمتطفلين بغير علم، ويحسبون أنهم يعلمون.

وهو العلم الذي أوصد أبواب الاجتهاد والترجيح أمام كل مدّع جاهل، وحال دون دخول هذا الصرح العلمي الشامخ كل متطاول، وأوقف الناس عند حدودهم، وعرفهم قدرهم وحالهم.

وفي الوقت نفسه هو العلم الذي أنار الطريق لطلاب العلم من أصحاب القدرات العلمية، والملكة الفقهية للنظر في أحكام دين الله المنيف، وتبيين شرعه الحنيف.

وهو الميزان الذي يعرف به كيف استنبط الأئمة الفقهاء الفروع والأحكام، وبه يوقف على القواعد والأصول التي أقام بناءها أهل الذكر على أسس راسخة، وحجج دامغة، وكيف ساروا عليها؛ ليكون اللاحقون على قدم العلماء السابقين وهديهم القويم، حتى لا تزل أقلامهم وأحكامهم، فإن زلة العالم زلة العالم، اللهم سلمنا وسلم منا.

إذاً، فالحاجة إلى معرفة علم أصول الفقه حاجة ضرورية ولا غنى عنه لطالب العلم الشرعي، ولذلك كان موضع عناية العلماء قديمـا؛ حيث تركوا لنا تراثا عظيما يعتبر كنوزا نافعة وبحورا زاخرة، ملأت المكتبات الإسلامية والعلمية من هذا التراث المبارك(١).

(١) أخذت بداية المقدمة من مقدمة الشيخ الأستاذ الدكتور سائد بكداش التي كتبها في تحقيقه لكتاب " أصول البزدوي".

ولما شعرت بأهمية هذا العلم، ومكانته الرفيعة وارتباطه – بالإضافة إلى الوحيين – بعلوم أخرى هي من الشريعة، أردت الخوض في غماره، والغوص في أعماقه، باحثا عن لؤلؤه ومرجانه، فوفقني جل وعلا بعد إتمامي مرحلة البكالوريوس بجامعة أم القرى في تخصص الشريعة لمواصلة طلب العلم الشرعي في تخصص أصول الفقه، فالتحقت لدراسته بمرحلة الماجستير في الجامعة المذكورة.

ولما حان وقت اختيار موضوع البحث؛ لإتمام هذه المرحلة أخذت أبحث عن موضوع له علاقة بهذا العلم، يشبع رغبتي، وينفع أمتي، وبعد استخارة الله عز وجل، واستشارة بعض العلماء من أهل التخصص، وبعد النظر في توصيات بعض الرسائل الجامعية والتي كان يدور أغلبها حول إبراز الجانب التطبيقي لعلم أصول الفقه، وبعد البحث الحثيث عن موضوع، أخبرني الشيخ الدكتور: فيصل بن داود المعلم – حفظه الله تعالى ورعاه – أن هناك مشروعاً بحثياً لطلاب أصول الفقه في القواعد الأصولية عند الحنفية والتطبيقات الفقهية عليها، ففرحت لذلك وأبديت له رغبتي في المشاركة في هذا المشروع، واخترت المبحث المتعلق ب"حروف المعاني".

❖ أهمية الموضوع:

١) إن المذهب الحنفي هو أول مذهب نشأ وتحددت له معالم أصولية من بين مذاهب أهل السنة والجماعة.

٢) العناية بطريقة الحنفية في الأصول وإبراز خصائصها باعتبارها إحدى المدرستين المهمتين من المدارس المتقدمة في التصنيف في علم أصول الفقه.

٣) ميزة العلماء الحنفيين الأصوليين حيث إنهم – إضافة إلى ما سبق – عملوا على تأليف كتب جامعة بين طريقتي الحنفية والمتكلمين.

٤) بيان القواعد الأصولية المؤثرة عند الأحناف والمتعلقة بمباحث "حروف المعاني".

٥) إبراز أهمية القواعد الأصولية في استنباط الأحكام.

٦) ربط الفروع بالأصول من خلال التطبيق على تلك القواعد، وكما هو معلوم بأن أصول الحنفية أكثر صلة بالفقه من أصول المتكلمين، لكثرة الفروع تأصيلاً وتمثيلاً.

❖سبب لختيار الموضوع:

أولاً: أنا نشأت في بيئة ينتشر فيها المذهب الحنفي، فإذا رجعت إلى بلدي سيسألني الناس عن مسائل مرتبطة بالفقه الحنفي وأصوله، فلا بد لي أن أتعلم وأتمكن في هذا المجال.

ثانياً: أثناء دراستي بمرحلة البكالوريوس تعلمت علم الأصول على طريقة المتكلمين؛ فأردت أن أوسع معرفتي على طريقة الفقهاء كذلك.

ثالثاً: الناس في بلدي في حاجة ماسة إلى من يعلمهم دينهم عامة، وإلى من يميز لهم مسائلهم في الفقه وأصوله خاصة؛ وأنا أريد أن أكمل هذا الفراغ في المستقبل إن شاء الله تعالى.

رابعاً: وأكثر أصولي الحنفية خرجوا من بلاد ما وراء النهر (من المنطقة التي نشأت فيها) فأردت الاقتداء بهم في كونهم تعلموا هذه العلوم الصعبة؛ وساهموا في تدوينها مع أنهم من غير أهل لغتها، ولم تكن في تلك الأيام مواصلات سريعة ولا وسائل تقنية حديثة.

خامساً: تَوجَّهت الدراسات الأصولية في الآونة الأخيرة إلى الجانب التطبيقي، وهو الغاية والمقصود من هذه الدراسات كما لا يخفى، بحيث قدم هذا التوجه خدمة كبيرة لكثير من المسائل الأصولية، فأردت بهذا الجهد المتواضع ضمه إلى تلك الجهود المثمرة، وذلك بدراسة هذه القواعد الأصولية من الناحيتين النظرية والتطبيقية.

❖ الدراسات السابقة:

بعد مراسلة الجامعات: مثل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (كلية الشريعة، المعهد العالي للقضاء)، وجامعة الملك سعود، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وبعد اطلاعي على فهرس رسائل جامعة أم القرى من خلال موقع مكتبة الملك عبد الله، تبين لي أن هذا الموضوع لم يبحث في رسالة مستقلة – والله أعلم – شاملة للجانب النظري والتطبيقي، جامعة وحاصرة للقواعد الأصولية عند الحنفية وتحديداً في مباحث حروف المعاني محققة فيها المذهب، وموضحة ثمارها في الفروع الفقهية من خلال تخريج الفروع على الأصول.

وإن كانت هنالك بعض المؤلفات التي تطرقت لبعض مسائل "حروف المعاني" بشكل مباشر وغير مباشر، إلا أنها لم تكن معتنية بالمذهب الحنفي بشكل خاص ولم تستوعب جميع القواعد الأصولية بالإضافة إلى أن هذه الدراسة تكملة لمشروع أقره القسم ولم يتبق فيه إلا هذا المبحث.

ومن الدراسات السابقة التي لها علاقة بالموضوع:

أولاً: المؤلفات التي عنيت بتخريج الفروع على الأصول قديماً:

- "تخريج الفروع على الأصول" للإمام الزنجاني، المتوفى سنة (٦٥٦هـ).
- "مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول"، للتلمساني الشريف المالكي، المتوفى سنة (٧٧١هـ).
- "التمهيد في تخريج الفروع على الأصول" لجمال الدين الإسنوي، المتوفى سنة (٧٧٢هـ).
- "القواعد والفوائد الأصولية" لأبي الحسن علي البعلي الحنبلي المشهور بابن اللحام، المتوفى سنة (٨٠٣هـ).
- "الوصول إلى قواعد الأصول" لمحمد بن عبد الله الخطيب التمرتاشي، المتوفى سنة (١٠٠٤هـ)، ويعتبر أول كتاب عند الأحناف في تخريج الفروع على الأصول، وقد ذكر فيه بعضاً من القواعد المتعلقة في حروف المعاني.

ثانياً: المؤلفات الحديثة والرسائل العلمية التي عنيت بتخريج الفروع على الأصول:

١- "أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء" للدكتور: مصطفى الخن، وهو عبارة عن رسالة دكتوراه في أصول الفقه من جامعة الأزهر، والباحث لم يذكر في ثنايا بحثه من القواعد الأصولية تتعلق في حروف المعاني.

٢- "تخريج الفروع على الأصول" للدكتور: عثمان بن محمد الأخضر شوشان. وهي عبارة عن دراسة تاريخية ومنهجية تطبيقية.

٣- "تخريج الفروع على الأصول" للدكتور: جبريل المهدي، وهي عبارة عن دراسة تحليلية مؤصلة.

٤- "القواعد الأصولية في كتاب فتح القدير لابن الهمام الحنفي" للباحث كمال أوقاسين، وهذه الرسالة العلمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الجمهورية الجزائرية بجامعة الجزائر في كلية العلوم الإسلامية. وهذه الرسالة اقتصرت على قواعد أصولية عند إمام معين، مع عدم استغراقها كل القواعد في "حروف المعاني".

٥- "القواعد الأصولية وتطبيقاتها عند الإمام الكاساني من خلال كتابه بدائع الصنائع جمعاً ودراسة" للباحث: أحمد بن سعيد العواجي، وهي عبارة عن رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير في أصول الفقه من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، لكنها متعلقة بأصول إمام معين فقط، وأما بحثي هذا فالمقصود منه استيعاب جميع القواعد الأصولية المتعلقة بمباحث "حروف المعاني" عند الحنفية، بحيث أحقق المذهب فيها ومن ثم دراستها والتطبيق عليها.

ثالثاً: المؤلفات المتعلقة ببحثي فيما وقفت عليه:

١- "الاستدلال في معاني الحروف دراسة في اللغة والأصول" للدكتور أحمد كروم، وواضح من عنوان الدراسة أنها دراسة نظرية تتعلق بالاستدلال في معاني الحروف بين الظواهر النحو وبيان الأصول، ولا تشمل دراسة تطبيقية.

٢- "حروف المعاني وأثرها في اختلاف الفقهاء"، وهذه الرسالة العلمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في شعبة أصول الفقه بجامعة أم القرى بمكة المكرمة للباحث: حسين مطاوع حسين الترتوري.

وأما المشروع الذي شاركت فيه فهو عبارة عن دراسة القواعد الأصولية في مذهب معين، تحت عنوان: القواعد الأصولية عند الحنفية، جمعاً ودراسة نظرية تطبيقية، فهو مقسم على عدة مباحث، وموزع بين الطلاب الباحثين على النحو الآتي:

١- "القواعد الأصولية عند الحنفية في مباحث السنة والإجماع" – للطالب: خليل بيومي.

٢- "القواعد الأصولية عند الحنفية في مباحث الأدلة المختلف فيها" – للطالب: علي طامي.

٣- "القواعد الأصولية عند الحنفية في مباحث الاجتهاد والترجيح والتقليد والإفتاء" – للطالب: يوسف السلمي.

٤- "القواعد الأصولية عند الحنفية في مباحث الأوامر والنواهي" – للطالب: سامي العنزي.

٥- "القواعد الأصولية عند الحنفية في مباحث العام والخاص والمطلق والمقيد" – للطالب: بشير عباس.

٦- "القواعد الأصولية عند الحنفية في مباحث الحكم الشرعي" – للطالب: إلياس بخاري.

٧- "القواعد الأصولية عند الحنفية في مباحث القياس" – للطالب: حسن أسد الله.

٨- "القواعد الأصولية عند الحنفية في مباحث الكتاب والنسخ " – للطالبة: مولودة تادجيبايوفا.

٩- "القواعد الأصولية عند الحنفية في مباحث حروف المعاني"، وهذا المبحث الذي اخترته لدراسته بإذن الله جل وعلا.

❖خطة البحث:

وقسمت هذا البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهارس علمية على النحو الآتي:

- المقدمة: وتشتمل على الأمور التالية:
  - أهمية الموضوع وسبب اختياره.
  - الدراسات السابقة.
  - خطة البحث.
  - منهج البحث.
- التمهيد: التعريف بالمذهب الحنفي وبيان أصول مذهبهم، ومنهجهم في التأليف، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بأصحاب المذهب الحنفي وأهم المؤلفات الأصولية فيه؛

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بصاحب المذهب الحنفي ونشأة المذهب.

المطلب الثاني: أشهر علماء الأصول في المذهب الحنفي ومؤلفاتهم الأصولية.

المبحث الثاني: في ذكر أصول المذهب الحنفي، ومنهجهم في التأليف؛

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أصول المذهب الحنفي.

المطلب الثاني: منهج الحنفية في التأليف الأصولي.

- وأما الفصلان فهما:

الفصل الأول: الدراسة النظرية (بيان مفردات عنوان البحث):

وتشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالقواعد الأصولية، ونشأتها وأهميتها؛

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي للقواعد الأصولية.

المطلب الثاني: نشأة القواعد الأصولية.

المطلب الثالث: الفرق بين القواعد الأصولية والقواعد الفقهية.

المطلب الرابع: أهمية دراسة القواعد الأصولية.

المبحث الثاني: ماهية حروف المعاني؛

ويشتمل أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الحروف في اللغة وتوضيح المراد بها.

المطلب الثاني: مفهوم حروف المعاني في الاصطلاح.

المطلب الثالث: علاقة الحروف بعلم الأصول.

الفصل الثاني: الدراسة التطبيقية للقواعد الأصولية المتعلقة بحروف المعاني:

وهذا الفصل يشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: القواعد الأصولية المتعلقة بحروف العطف؛

وفيه أربعة عشر مطلباً:

المطلب الأول: "الواو" لمطلق الجمع.

المطلب الثاني: تُستعار "الواو" للحال.

المطلب الثالث: تكون "الواو" لعطف الجملة التامة، فلا تجب المشاركة فيه.

المطلب الرابع: "الفاء" للوصل والتعقيب.

المطلب الخامس: تستعمل "الفاء" في أحكام العلل.

المطلب السادس: "ثُمَّ" تفيد التراخي.

المطلب السابع: يُستعمل حرف "ثُمَّ" بمعنى "الواو" مجازاً.

المطلب الثامن: حرف "بَلْ" موضوع لإثبات ما بعده، والإعراض عما قبله.

المطلب التاسع: "لَكِنْ" للاستدراك بعد النفي.

المطلب العاشر: تدخل "أَوْ" بين اسمين أو فعلين، فتتناول أحد المذكورين.

المطلب الحادي عشر: قد تُستعار "أَوْ" للعموم.

المطلب الثاني عشر: "حَتَّى" للغاية.

المطلب الثالث عشر: تُستعار "حَتَّى" بمعنى "لام كَي".

المطلب الرابع عشر: تُستعار "حَتَّى" للعطف المحض.

المبحث الثاني: القواعد الأصولية المتعلقة بحروف الجر؛ وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: "الباء" للإلصاق.

المطلب الثاني: "عَلَى" للإلزام، وتستعمل بمعنى الشرط، وتستعار بمعنى "الباء".

المطلب الثالث: "مِنْ" للتبعيض، وقد تكون لابتداء الغاية.

المطلب الرابع: "إِلَى" لانتهاء الغاية.

المبحث الثالث: القواعد الأصولية المتعلقة بالظروف؛ وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: "في" للظرفية.

المطلب الثاني: "مَعَ" للمقارنة.

المطلب الثالث: "قَبْلَ" للتقديم.

المطلب الرابع: "بَعْد" للتأخير.

المطلب الخامس: "عِنْد" للحضرة.

المبحث الرابع: القواعد الأصولية المتعلقة بحروف الاستثناء؛ وفيه مطلبان:

المطلب الأول: "إلّا" أصل في الاستثناء.

المطلب الثاني: "غير" من الأسماء تُستعمل في الاستثناء.

المبحث الخامس: القواعد الأصولية المتعلقة بحروف الشرط؛ وفيه مطلبان:

المطلب الأول: "إنْ" أصل في حروف الشرط.

المطلب الثاني: "إذَا" تصلح للوقت وللشرط على السواء.

المبحث السادس: القواعد الأصولية المتعلقة بحروف القسم؛ وفيه مطلب واحد:

المطلب الأول: حروف القسم هي: "الواو" و"الباء"، و"التاء".

- الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

ومن ثم الفهارس، وتشمل على:

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الأعلام.
- فهرس البلدان.
- فهرس المصادر.
- فهرس الموضوعات.

❖منهجي في البحث:

المنهج الذي اتبعت في هذا البحث كالآتي:

- استفرغت جهدي في جمع القواعد الأصولية المتعلقة بمباحث "حروف المعاني" من كتب الأحناف الأصولية، واستقصيت – فيما أحسب – جميع القواعد الأصولية المؤثرة منها والتي تبنى عليها ثمرة فقهية في هذا المبحث. وإذا وجدت قاعدة جديدة لم أذكرها في الخطة ضممتها إلى البحث.
- رتّبتُ المباحث على حسب القواعد الأصولية، ثم فرعت المسائل الفقهية عليها.
- ذكرت القاعدة الأصولية موثقة، مع ذكر الخلاف بين علماء المذهب الحنفي – إن وجد – بدون إيراد أدلتهم ومناقشتها، والاكتفاء بقدر المستطاع بشرحها على ما ورد في كتب المذهب.
- كنت أوثّق النقول من المصادر المعتمدة.
- جمعت التطبيقات الفقهية من أشهر كتب الأحناف، واكتفيت فيها بذكر مثالين أو ثلاثة أمثلة لكل قاعدة.
- كنت أهتم في دراسة كل قاعدة أصولية على النقاط التالي:

أ/ معنى القاعدة.

ب/ حجيتها في المذهب.

ج/ أدلة حجيتها.

د/ التطبيقات الفقهية.

- عزوت الآيات القرآنية إلى مكانها في المصحف.
- قمت بتخريج الأحاديث التي تذكر في ثنايا البحث وعزوتها إلى كتب الصحاح المعروفة، كالبخاري ومسلم أو السنن الأربعة، وغيرها من كتب المسندة، وما كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بتخريج الحديث منهما، وما كان في غيرهما ذكرت حكم علماء الحديث عليه صحةً أو ضعفاً.
- وضعت هامشاً لتوثيق المصادر والمراجع مرقماً بالجزء ورقم الصفحة، وذلك بجعل هوامش مستقلة لكل صفحة.
- ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في البحث، ومنهجي في الترجمة أني ذكرت اسم العلم، ولقبه، وبعضا من مصنفاته، وسنة وفاته، فإن لم أجد أيا من ذلك اكتفيت بما وجد، فما ترجمت الأعلام المذكورة في الكلام المنقول.
- قمت بالعناية بتفسير الكلمات الغريبة، وبيان معناها من كتب اللغة المعروفة، وكذلك ما ورد في غريب القرآن، أو الأثر النبوي، أو الألفاظ الاصطلاحية إن وجدت.
- ذكرت مواقع البلدان الوارد ذكرها في البحث قديماً وحديثاً، ولكن لم أترجم المدن المعروفة كمكة، وبغداد والكوفة ...الخ؛ لشهرتها بين العامة فضلاً عن الباحثين.
- وقمت بكتابة الخاتمة وبها نتائج البحث وتوصياته، وملخصٌ لأهم ما ورد في الرسالة.
- ذكرت الفهارس العلمية في نهاية البحث، وهي كالتالي:

- فهارس الآيات القرآنية وهي مرتبة على حسب سور القرآن الكريم.
- فهارس الأحاديث النبوية والآثار وهي مرتبة على حروف الهجاء.
- فهارس الأعلام.
- فهارس المصادر والمراجع، وترتيبها على حسب الحروف الأبجدية.
- فهرس الموضوعات.

وأسأل الله تعالى أن يُوفِّقَني إلى الصواب، وأن يبعدني عن مواطن الزلل، وإن العمل البشري لا يخلو من نقص، وإن الكمال لله سبحانه وتعالى، فإن كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، وإن كان من صواب فمن الله وحده، فأسأله تعالى أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي، وأن ينفعني به يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

الطالب

عبد الولي أقماتوف